

نموذج مقترح لتكفل النفسو- اجتماعي بالأحداث الجانحين داخل مراكز إعادة التربية والتأهيل

الكاتب: بورقبي منال

جامعة 8 ماي 1945، قالمة

البريد الإلكتروني: bouregbimanel@gmail.com

الملخص:

من بين الأهداف العامة لتكفل النفسو- اجتماعي بالأحداث الجانحين داخل مركز إعادة التربية والتأهيل، ضرورة جعل الأحداث الجانحين يتخلون بالتدرج عن سلوكياتهم المنحرفة والتخلي تدريجيا بعلاقات اجتماعية نوعية تمكنهم من اكتساب مهارات التواصل الاجتماعي والقدرة على حل المشكلات بطريقة مقبولة اجتماعيا. لتحقيق ذلك يجب معرفة ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والتربوية والمادية، وتشخيص العوامل المرتبطة بجنوحهم أو دراسة آثارها السلبية على الفرد والعائلة والمجتمع. يؤكد الباحثون في هذا المجال على ضرورة فحص شخصية المراهق الجانح بدقة لاختيار أنجح الطرق لتكفل به وإعادة إدماجه اجتماعيا، وعليه نحاول في هذا المقال تقديم نموذج لتكفل النفسو- اجتماعي للأحداث الجانحين يتمحور من جهة حول شخصية المراهق الجانح والمعرفة العميقة بخصائصه النفسية والعائلية والتفاعلية، ومن جهة أخرى تحفيز وتفعيل دور العائلة ومؤسسة إعادة التربية من خلال التكوين المستمر لأعضائها (المربين، المختص النفسي، الاجتماعي، الإدارة) والإطلاع على ما هو جديد من الناحية النظرية والتطبيقية ورسم مشروع تكفل واضح ومرن قابل للتجديد والتكيف مع المتغيرات الاجتماعية والثقافية.

Résumé :

La délinquance juvénile devienne de plus en plus un véritable enjeu politique et social qui mérite des études approfondie et accentué concernant d'un coté les causes qui poussent l'adolescent algérien à basculer dans l'enfer de la délinquance et la criminalité. D'autre coté, comprendre les stratégies de prise en charge des adolescents délinquants dans les centres de rééducations et pourquoi pas développer de nouveaux modèles d'interventions au sein de nos institutions de rééducations , afin d'assurer une bonne réinsertion et réadaptation sociale des jeunes délinquants.

De ce fait, l'article présent propose un modèle d'intervention des adolescents délinquants au sein des centres de rééducations, basé et approprié avec les caractéristiques personnelles du jeune délinquant et son histoire familiale parce que chaque adolescents à un ensemble de traits physiologiques, psychologique et sociaux déterminants qui le différencié des autres adolescents , malgré la présence des point de développement communs. Le modèle que

nous proposons fait appel d'une part à une intervention spécifique qui prend en compte la trajectoire développementale des actes délinquants, et d'autre part, à l'évaluation de l'efficacité de l'intervention des jeunes délinquants au milieu résidentiel qui se réfère beaucoup plus au taux de récidive, c'est-à-dire si le jeune ne se récidive pas, l'intervention a été efficace dans cette mesure seulement sans qu'il prend en considération d'autres paramètres qu'ils sont indissociables dans l'évaluation de l'efficacité de travail d'établissement de rééducation comme : la qualité des tâches pédagogiques, de travail de groupe, d'entretiens individuels et le climat social au sein de l'institution qui peut marqué assez largement le travail et la qualité de l'intervention.

مقدمة

إن ظاهرة جنوح المراهقين من الظواهر الاجتماعية الكبرى المرتبطة ارتباطا وثيقا بمجمل العضلات والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتشكل إطار عام للأزمة في عمقها وجوهرها، وما يترتب عليها من مخاطر تهدد النظام العام ومستقبل المجتمع، إذ لم تتخذ الإجراءات اللازمة والفعالة لتصدي بكل إرادة لهذه الظاهرة التي تحدث شرخا واضحا في المجتمع بين قيمه الأخلاقية المتعارف عليها، وبين ما هو موجود في أرض الواقع من تصاعد منحي الجنوح وتنامي الشعور بالخوف بين أفراد المجتمع. فإحصائيات المديرية العامة للأمن الوطني خلال الفترة الممتدة ما بين 2013 إلى غاية 2016، تشير أن عدد الأحداث المسجلين في حدود 5000 فعلي سبيل مثال: سنة 2013 وصل عدد الأحداث الجانحين 5729، وفي سنة 2016 تراوح عددهم 5368 متورطون في سرقات بمختلف أنواعها وجرائم الضرب والقتل وجرائم المساس بالعائلة والآداب العامة.

هذه الإحصائيات تبين خطورة الوضع من سنة إلى أخرى، وتعدد وتشابك عوامل هذه الظاهرة من عوامل عائلية (طلاق، سوء المعاملة، فقدان أحد الوالدين، الفقر،...)، اجتماعية (ضعف الضبط الاجتماعي، ضعف المؤسسات الاجتماعية، المتاجرة بالمخدرات،...)، واقتصادية (الأزمة الاقتصادية، البطالة، ضعف الدخل العائلي...). رغم أهمية توضيح العوامل ودارسها لمعرفة مدى تأثير كل عامل على ظهور وتنامي جنوح الأحداث، ليس القصد من هذا المقال الاستغراق في تحليل وتفسير العوامل المتشعبة لهذه الظاهرة التي كانت محل اهتمام العديد من الدراسات التي حاولت معرفة الظروف المادية والنفسية والاجتماعية والتربوية المرتبطة بجنوح المراهقين، بل الاهتمام بجانب آخر بالغ الأهمية وهي منظومة التكفل والإصلاح التي تعمل على الحد من هذه الظاهرة والمحافظة على المجتمع بكل مكوناته وإعطاء الفرصة

للأحداث الجانحين لإعادة بناء حياتهم بعيدا عن الأفعال الجانحة والعمل على الاندماج اجتماعيا.

نحاول في هذا المقال اقتراح نموذج لتكفل النفسو- اجتماعي بالأحداث الجانحين يأخذ بعين الاعتبار الدراسات الجديدة حول إعادة تأهيل الجانحين والنظريات التي لا تفسر السلوك الجانح فقط، بل تقدم أساليب لتكفل النفسي بالأحداث الجانحين يضمن الإلمام بجميع جوانب شخصية المراهق الجانح. إن المقال يهدف إلى توضيح أبعاد النموذج المقترح لتكفل النفسو- اجتماعي داخل مؤسسات إعادة التربية والتأهيل ولفت الانتباه لضرورة مراجعة سياسات وأساليب التكفل النفسو- اجتماعي داخل المؤسسات و خارجها لضمان فعاليتها ونجاحاتها.

1- الإطار النظري للنموذج المقترح لتكفل النفسو- اجتماعي بالأحداث الجانحين:

الأحداث الجانحين الذين صدر في حقهم حكما قضائيا بعد ارتكابهم فعل يعاقب عليه القانون(السرقه، الاعتداء على الأشخاص والأموال، تناول المخدرات...) ويودعون مركز إعادة التربية؛ يمثلون في واقع الأمر فئة حساسة ومهمة وهي فئة المراهقين الذين يعيشون مرحلة حرجة في حياتهم ومستقبلهم، فكل التغيرات الفيزيولوجية والنفسية والاجتماعية تؤثر في سلوكهم وفي حكمهم على الأشياء. ولفهم أسباب خرقهم للقوانين يجب دراسة معمقة لنموهم وتطورهم منذ الطفولة ومعرفة طبيعة الأحداث التي يمكن أن تؤثر عليهم وتدفع بهم إلى ارتكاب الفعل الجانح.

فدراسة مسار نمو الحدث الجانح تساعد أيضا على تحديد عوامل الخطر التي تسمح بوضع تصور واضح للمتغيرات والمميزات التي يمكن أن تمثل مواطن ضعف في نفسية شخص معين، و تسمح بتقويم أحسن للإجابات النفسو- اجتماعية⁽¹⁾. تطبيق مبادئ النمو في دراسة جنوح الأحداث يتضمن نتائج هامة:

1. تقديم معلومات أوفر حول عوامل ظهور واستمرار وإخفاء مظاهر انحراف سلوك عند المراهق والطفل.

2. تساعد على وضع تصور أعمق لسلوكيات الانفعالية المعقدة للطفل والمراهق في حالة نمو.

3. تقترح مقارنة جديدة من أجل تطوير التكفل النفسو- اجتماعي للطفل والمراهق، بالأخذ بعين الاعتبار الانفعالات المعقدة للطفل والمراهق والوسط والعوامل البيئية.

إن بناء برنامج متكامل وفعال لتكفل النفسو- اجتماعي لا يتأتى إلا بدراسة مسار نمو المراهق الجانح وكل العوامل والأحداث التي يمكن أن تكون سبب مباشر لارتكابه الفعل

المنحرف. على أساس نتائج هذه الدراسة يمكن وضع خطة واضحة ودقيقة خاصة بكل مراهق تحافظ على فرديته وخصوصيته.

1-1- نظرية علم النفس المرضي للنمو:

تعتبر نظرية علم النفس المرضي للنمو نموذج متكامل لفهم الاضطرابات النفسية والسلوكية لطفل والمراهق في إطار مقارنة تطورية إنمائية من خلال دراسة كل مميزات وأحداث النمو وتأثيراتها على نمو شخصية الطفل والمراهق وظهور السلوكيات المنحرفة. فقد أكد كل من (Born, Glowacz, Froidecoeur) ، (2014) ⁽²⁾ على ضرورة دراسة الفعل الجانح في المراهقة من خلال ربطه بمراحل النمو (الطفولة والمراهقة) والتفاعل القائم بين الطفل والآباء، وطبيعة التفاعلات الاجتماعية في مرحلة المراهقة وأهميتها في بناء الشخصية وظهور السلوكيات العدوانية. فالمراهق يبني هويته وذاته على أساس طفولته والعلاقة مع نماذج التقمص.

إن نظرية علم النفس المرضي للنمو أصبحت منذ 20-30 سنة الماضية من أهم مجالات البحث في علم النفس العيادي، التي تطورت على يد D.Cicchetti, A. A. Sroufe, Sameroff, M. Rutter بهدف إعطاء إطار ابستمولوجي أوسع وشامل للأبحاث في علم النفس المرضي لطفل والمراهق، وذلك باقتراح دراسة التأثيرات المتبادلة بين النمو والمرض من أجل فهم دقيق للأسباب الحقيقية وراء ظهور الاضطرابات في الطفولة والمراهقة وتحديد التدخلات الوقائية والعلاجية. هذه المقاربة تحاول دراسة النمو الإنساني من الولادة إلى الموت على أساس مسار حيوي وديناميكي وتفاعلي بين الفرد والوسط الذي يعيش فيه، فهي تجمع معرفة وخبرة نظريات متعددة سواء على المستوى المعرفي، اللغوي، الانفعالي، الاجتماعي والأخلاقي ومن أهمها: نظريات علم النفس النمو: Piaget, Wallon, Vygofski, Bruner، نظريات التحليل النفسي: (Klein, Winnicott, Freud) ، ونظريات التعلق (Bowlby et Ainsworth) ونظريات المعرفية والسلوكية ... يمكن توضيح هذه النظرية من خلال جملة المبادئ التي تظهر خصوصيتها:

- مبدأ النهاية الواحدة *équifinalité* ومبدأ تعدد النهاية *multifinalité*: مبدأ النهاية الواحدة يتمثل في أن مسارات النمو المختلفة يمكن أن تؤدي إلى نفس النتيجة، فالطرق المختلفة في النمو والمميزة بمجموعة من العوامل التي تختلف من تخصص إلى آخر يمكن أن تؤدي إلى ظهور سلوك أو اضطراب معين مثلاً: الجنوح. أما مبدأ النهاية المتعددة يقصد به نتائج النمو

المختلفة يمكن أن يكون مصدرها نفس العامل المشترك على سبيل المثال: فقدان أحد الوالدين يمكن أن يؤدي إلى اكتئاب عند الأطفال الذين لديهم تعلق غير آمن أو اضطراب في السلوك . نتائج النمو لا تعتمد بالضرورة على الفرد لوحده ومضمون تجربته الفردية، بل على دراسة التفاعل القائم بين المميزات الفردية وخصوصيات الوسط الذي يعيش فيه وهذا التفاعل يتغير بتغير الزمن.

- دراسة علاقات الفرد مع الوسط الذي يعيش فيه يأخذ مكانة مهمة في علم النفس المرضي للنمو، فالتجربة العلائقية للفرد تلعب دورا كبيرا في رسم طبيعة علاقته مع الآخرين، وفي ظهور أو غياب اضطراب معين لأن معظم الاضطرابات النفسية المرضية والسلوكية تتضمن خلل علائقي.
 - التفاعل المتبادل بين العادي والمرضي، بمعنى لا يوجد انقطاع بين العادي والمرضي بل استمرارية في النمو، فيمكن أن يظهر اضطراب في مرحلة معينة ويختفي في مرحلة موائية إذا توفرت شروط مناسبة لتحقيق ذلك، فكل العوامل البيولوجية، النفسية، الوراثية، الثقافية، الاجتماعية وأحداث الحياة يمكن أن تحدد الاستمرارية أو اللاستمرارية لاضطراب ما خلال مسار النمو.
 - عوامل الخطر: هي كل الظروف الوجودية عند الطفل أو الوسط الذي يعيش فيه و يتوقع من خلالها احتمال تطور الصعوبات، فهي عوامل متعددة ومختلفة منها الداخلية الخاصة بالفرد (سن، جنس، مستوى الذكاء، الاندفاعية، العدوانية،...) والخارجية الخاصة بالوسط الاجتماعي (انفصال الوالدين، سوء المعاملة الوالدية، المدرسة، الرفاق، الحي...).
- عند دراسة عوامل الخطر يجب الأخذ بعين الاعتبار أن كل طفل يتفاعل بطريقة مختلفة مع هذه العوامل بالنظر إلى عوامل أخرى يمكن أن تساعد على التغلب على أثر عوامل الخطر وهي عوامل الحماية التي تحفز على النمو المتجانس (الذكاء المزاج سهل، علاقة إيجابية مع الآخرين،...).
- يجب الإشارة إلى عوامل الضعف التي تعرف على أنها مجموعة من العوامل الخاصة بالفرد تجعل منه أكثر استعدادا على نمو اضطراب معين ويكون أصلها وراثي أو وسطي (صعوبات التحكم الانفعالي، ضعف القدرة على حل المشكلات والاتصال، الرفض الاجتماعي، الصعوبات المعرفية....)، هذه العوامل تتفاعل مع عوامل أخرى وتوجه النمو سلبيا.

حسب علم النفس المرضي للنمو العلاقة بين عوامل الخطر والنتيجة تعتبر احتمالا وليس محدد لحدوث النتيجة، ولا تكون هذه العوامل بالضرورة سبب في حدوث السلوك ولفهم الخطر يجب دراسته على أساس مسار متداخل مع مسار النمو مثلا: إذا كان أحد الوالدين يعاني من مرض نفسي، فليس المرض في حد ذاته ما يؤثر في الطفل، ولكن ما ينتج على مستوى العلاقة الزوجية، الانعزال الاجتماعي. عليه يجب دراسة عوامل الخطر من خلال مبدأ التراكم بمعنى أن عامل الخطر بمفرده لا يؤثر على مسار النمو بل تعدد العوامل وفعل التراكم ما يجعل من هذه العوامل مؤثرة في مسار النمو ويمكن أن تؤدي إلى ظهور سلوكيات منحرفة. هذه المبادئ توضح شمولية هذه المقاربة واهتمامها بدراسة مسار النمو من كل جوانبه لمعرفة أسباب ظهور مختلف الاضطرابات لدى الطفل والمراهق واحتمال استمرارها إلى سن الرشد وتصبح ميزة الشخصية وأسلوبا للحياة، وقد اعتمد العديد من الباحثين على دراسة الفعل الجانح باستعمال مبادئ هذه النظرية منهم: Leblanc et Loeber, 1998, Moffitt, 1993, Gagnon et Leblanc, 1994, Born, 2002, ...

حسب هذه المقاربة، إذا كان الفعل الجانح يظهر في مرحلة معينة من الحياة فيجب فهم السلوك في أصله، ودراسة كل حياة المراهق ما قبل المرور إلى الفعل، بمعنى تحديد العوامل و الميكانيزمات التي أدت إلى ظهور الفعل الجانح وأيضا الاهتمام بتتابع مراحل النمو قبل وأثناء المرور إلى الفعل، و فهم آليات التنشئة الاجتماعية والأساليب التربوية الوالدية والمدرسية. فدراسة مسار نمو المراهق الجانح يسمح لنا بفهم أسباب مرور المراهق إلى الفعل الجانح وتوقع استمراره أو عدم استمراره في المسار الجانح.

1- 2- نظرية التعلق:

تعد نظرية التعلق ل Bowlby من أهم النظريات وأكثرها قبولا في الوقت الحاضر، فقد أخذت مختلف مفاهيمها وتطبيقاتها في علم النفس المرضي والعلاجات النفسية مكانة مميزة واهتمام بالغ باعتبارها الأقرب لفهم تأثير الوسط العاطفي على سلوكيات الفرد، وعلى بناء شخصيته. فقد انتقد Bowlby أفكار Freud الذي اعتبر أن العلاقة العاطفية دافعا ثانويا ينمو على هامش الدوافع الأساسية (إشباع حاجة الغذاء مثلا)، وأكد على أن الحاجة إلى الاتصال الجسدي والبحث عن القرب والارتباط بالأم هي حاجة فطرية ضرورية للنمو الطبيعي للطفل مثله مثل الغذاء ومستقلة عن الدوافع الأولية.

التعلق بالنسبة ل Bowlby مسار فطري معد لتأمين بقاء الفرد من خلال المحافظة على القرب بين الرضيع والأم، فهو يبدأ من الحمل ويتطور خلال ثلاث سنوات الأولى ويؤثر على

طريقة بناء الطفل لعلاقاته الاجتماعية المستقبلية والهدف من التعلق هو إحساس الطفل بالأمن والحماية والثقة في مقدم الرعاية. التعلق مسار قائم على التفاعلات بين الطفل وصور التعلق (الأم التي تعتبر دائما الأكثر تأثيرا)، فالطفل مزود بسلوكيات فطرية تسمح له بتحفيز القرب والاتصال: الابتسامة، البكاء والصراخ، الاتصال بالنظر، مد يدين وتتبع النظر. وقد أشار Bowlby (1969) أن الأطفال المقيمين في المستشفيات ومؤسسات الأيتام ولم تكن لديهم الفرصة لإقامة علاقة عاطفية مستمرة مع الأم أو مع أحد بدائل الأم يظهر عليهم حرمان عاطفي ناتج عن الانفصال المبكر عن الأم ويعانون من الاكتئاب وأمراض نفسية عديدة ويمكن أن يكون لديهم ميل في سن المراهقة إلى سلوكيات عدوانية وإلى الجنوح. قد أكدت ذلك الدراسات اللاحقة منها دراسة Rutter (1998) والذي اعتبر أن الفشل في تشكيل رابط عاطفي بين الطفل والوالدين يؤدي في المستقبل إلى ظهور السلوكيات المنحرفة.

أضاف Bowlby مفهوم النموذج الداخلي للتمثلات والذي يتكون على أساس طبيعة إجابة صورة التعلق على حاجات الأمن والحماية للطفل: إذا كانت الأم أو أحد بدائلها حاضرة بسلوكيات إيجابية ومناسبة، يمكن للطفل أن ينمو ويكتشف العالم الخارجي بكل ثقة ويستطيع التغلب على قلقه ويتفاعل مع الآخرين، أما إذا كان التعلق بطريقة غير مناسبة بسبب لامبالاة صورة التعلق لحاجات الطفل التعلقية أو غيابها، فطفل يكون عرضة للقلق والمعاناة من مشكلات عاطفية ومعرفية واجتماعية. من ثم فعلى قاعدة التفاعل مع صورة التعلق وإجاباتها على حاجات الطفل التعلقية والأمن والحماية يبني الطفل تدريجيا تمثلاته المعرفية حول العالم الخارجي والعلاقات مع الآخرين ويستقر هذا النموذج للتمثلات ويصبح من الصعب تغييره.

على أساس أعمال Bowlby، عملت Ainsworth وشركائها (1978) على تحديد أنماط التعلق من خلال القيام بتجربة في المخبر، والتي سمحت بملاحظة كيف تتأثر سلوكيات الأطفال ما بين (12- 18 شهر) الاستكشافية بحضور أو غياب الأم. وحسب 8 مراحل تجريبية متتالية لكل الأطفال، أمكنهم تقويم نوعية التعلق بين الأم والطفل من خلال وظيفة الأمن للعلاقة أم _ طفل وإمكانيات الطفل على الانفصال. عرفت Ainsworth ثلاث أنماط للتعلق:

1. التعلق الآمن: الطفل يكتشف الوسط ويعود بانتظام إلى أمه لطمأنته، وهي تجيب بطريقة إيجابية ومستمرة على علامات الطفل.

2. التعلق غير الآمن/ تجنبني: الطفل يكشف الوسط دون الاهتمام بحضور أو غياب الأم ولا يظهر أي علامة حزن عند ذهابها وعند عودتها يتجاهل كل محاولتها التفاعلية، وهذا يدل على أن الطفل تعلم أنه عندما يظهر الحزن فلا تكون أي ردة فعل والنتيجة سلبية وصورة التعلق تستقبل طلباته بعدوانية أو لامبالاة أو رفض.

3. التعلق غير الآمن/متناقض: الطفل قلق منذ البداية، لا يكشف الوسط ويظل ملتصق بأمه، ويظهر عليه حزن شديد عند الانفصال عنها، ويستمر بالبكاء والصراخ حتى بوجود صورة التعلق ما يؤكد على انعدام الثقة في الأم، ولا يمكن توقع ردة فعل صورة التعلق، فنفس سلوك الطفل يمكن أن يستجاب إليه مرة بطريقة مناسبة ومرة أخرى بالغضب، وبالتالي الطفل لا يستطيع تحديد ما يجب فعله ويستنتج أنه لا يستحق الحب والعاطفة.

أما النمط الرابع المكتشف حديثا من طرف Main et Salomon (1990) وهو التعلق غير المنظم، ويتميز بظهور سلوكات متناقضة، حركات وتعبيرات غير موجهة ومتقطعة. فالطفل يظهر سلوكات تجنبية ومتناقضة ودون إستراتيجية واضحة، فهو مرتبط بسلوكات والديه مضطربة ويظهر عادة في حالات سوء المعاملة.

يؤكد Bowlby أن ما يحدد المسار المتبع في نمو سلوك التعلق عند الفرد والمخطط الذي من خلاله ينتظم هي التجارب التي يعيشها مع صور التعلق خلال سنوات عدم النضج (الطفولة) والمراهقة⁽³⁾. هذه الأخيرة تعتبر مرحلة حساسة وحرجة في تطور التعلق أثناء حياة الفرد، فإلى جانب صور التعلق للطفولة (الأب، الأم، الأخوة، الأجداد) يضاف في مرحلة المراهقة أشخاص آخريين: الأساتذة، المربين الرياضيين، والراشدين القريبين من العائلة والرفاق..... الدراسات الحقيقية حول نوعية التعلق خلال المراهقة كانت في العشر سنوات الأخيرة (Allen Cassidy et al, 2003, 2007; Mc Elhaney et al, 2009, woodhouse, et Dykas 2009) وقياس تنظيم التعلق في المراهقة الأكثر استعمالا هو المقابلة حول التعلق في سن الرشد (AAT) المطور على يد كل من George, Kaplan et Main (1985) الذي يقيس التجانس في خطاب المراهق حول موضوع تجارب التعلق والاندماج العاطفي لهذه التجارب، سمح ذلك بتصنيف المراهقين على أساس أربع نماذج للتعلق⁽⁴⁾.

1- التعلق الآمن/المستقل: المراهق يتحدث بطريقة متجانسة عن تجاربه التعلقية سواء كانت إيجابية أو سلبية ويظهر علامات اندماج لهذه التجارب في نظرتة لنفسه وتقييم علاقاته.

2- التعلق التجنبي: المراهق يقدم خطاب غير متجانس وصورة للوالدين مثالية، ويؤكد على عدم قدرته على تذكر تجاربه التعلقية وتأثير التجارب السلبية عليه.

3- التعلق القلق: يظهر على المراهق الغضب عند الحديث عن علاقته مع الوالدين ولديه صعوبة في التفريق بين الماضي والحاضر، ويظهر عليه أيضا خلط معرفي، عاطفي، ويتميز بالسلبية.

4- التعلق غير المنتظم: الخطاب يتميز بعدم الانتظام والحديث عن الموت وتجارب صدمية أخرى.

إن التعلق الآمن يسهل اكتساب القدرات الاجتماعية المطلوبة وأيضا تقدير الذات إيجابي والقدرة على التحكم وتعديل انفعالاته والتمتع بصحة نفسية و جسمية جيدة، ويضيف (Mc Elhaney et al) ، (2009) بعد دراستهم لمراهقين ما بين 10- 14 سنة في إيطاليا أن هؤلاء المراهقين يتعلقون خاصة بالوالد من نفس الجنس، وبالنسبة للعلاقة مع الصور الأخرى للتعلق، فقد أظهرت الأبحاث أن المراهق الذي لديه تعلق تجنبي، يكون حذرا لا يبحث على إقامة علاقة مع الآخرين، أما المراهق ذو التعلق القلق يتأثر بدرجة بالغة بنظرة و اعتراف الآخرين به، وهو غير راض على دعم الآخرين، ويبحث على القرب بكل الوسائل، على عكس التعلق الآمن الذي يربط فيه المراهق علاقات جديدة مع الرفاق⁽⁵⁾.

إن المراهق يحاول الخروج بعيدا عن علاقات التعلق الأولية ولكن تبقى الرابطة الوجدانية مع الوالدين مهمة ويعتمد عليها المراهق لحل المشكلات والصراعات التي يمكن أن يقع فيها، ويشترط أن يكون هذا التعلق آمن ليمنحه الشعور بالثقة والقيمة الذاتية والمرونة والقدرة على التغلب على الصعوبات والمعوقات. فالمراهق يعتمد على والديه لتحقيق استقلاله الذاتي، والانفصال عن الطفولة على أساس التعلق والاستقلال الذاتي لا يتم بدون صراعات وشكوك، فهو يجد نفسه ما بين الرغبة في الاحتفاظ بالعاطفة الوالدية أو الابتعاد من أجل اكتشاف مواضيع جديدة خارج العائلة، فهو منقسم بين الحاجة لإثبات اختلافه وإيجاد الحماية الطفولية التي يضمنها الوالدين، فيجب الاهتمام بهذه الحاجة إلى التعلق عند المراهق دون النظر إلى علاقة آباء- مراهق من جانبها الصراعي فقط⁽⁶⁾.

إن نظرية التعلق نموذج يسمح لنا بتقدير نوعية العلاقة والدين - طفل في السنوات الأولى من الحياة وفهم التأثيرات على مدى الطويل للتعلق الآمن وغير الآمن من خلال معرفة النماذج الداخلية التي تؤثر على فهم العالم بصفة دائمة. هذا النموذج يقدم لنا أيضا شرح لسلوكات الجانحة لدى المراهقين، فمعرفة أنماط تعلقهم يسمح بفتح الباب لتكفل نفسو-

اجتماعي فعال ويضمن لهم إعادة بناء تمثيلات واعية حول العلاقات الاجتماعية والتفاعل مع الآخرين.

أما النموذج الثالث التي يعتبر إطار مرجعي هام باعتباره تجربة ميدانية رائدة وثرية وأثبتت فعاليتها منذ سنوات الستينات إلى اليوم الحاضر مشروع التكفل النفسو- اجتماعي للأحداث الجانحين Boscoville الكندي، الذي أعتمد فيه على جملة من نظريات النمو ومفهوم الهوية (Erikson) ونظرية الرابط الاجتماعي (Hirchi).

يعتبر برنامج Boscoville من البرامج الهامة في مجال إعادة التربية من خلال مراحلها التي تسمح بتوجيه ومراقبة تطور الشاب الجانح داخل المؤسسة. كان الفضل لـ G.Gendreau وشركاه لتطبيقها ولـ J.Guindon (1970) لتكوينها نظريا في كتابها " les étapes de la rééducation des jeunes délinquants et les autres " حيث تؤكد أن المسار التطوري المرحلي ليس نمو كيمي مستمر ولكن تتابع لمراحل مختلفة نوعيا، فكل مرحلة هي توازن جديد، وهي بنية تنطلق منطقيا بعد الأخرى. مسار التكفل في Boscoville نموذج تطوري من أربع مراحل يمكن إيجازها كما يلي:

1- **مرحلة التأقلم:** تقديم للمراهق الجانح برنامج العمل، الهدف الرئيسي من إقامته والوسائل المتاحة له. وبعد ذلك العمل على تأقلم المراهق مع الوسط الجديد وتقبل فكرة وجوده داخل المؤسسة باعتبارها وسط للعلاج وعلى أنه بحاجة للمساعدة لتعديل سلوكه الجانح.

2- **مرحلة الضبط:** بداية التدريب باستعمال الوسائل المتاحة بالمؤسسة للوصول إلى تحقيق هدف معين ويجب على المراهق الجانح احترام قواعد الوسط الذي يوجد فيه. ويتطلب منه بذل الجهد لتكيف مع واقع المركز وعليه الاندماج في الجماعة من خلال التحكم في أفعاله والقدرة على الإجابة إيجابيا على التفاعلات مع أفراد الجماعة وهذا الاندماج يضمن الاستدخال التدريجي للضوابط الشخصية.

3- **مرحلة الإنتاج:** في هذه المرحلة يستطيع المراهق الجانح اختيار الوسائل المناسبة لتحقيق الهدف، ويعمل على التدريب على البرمجة على مدى الطويل لتحقيق الأهداف مع الأخذ بعين الاعتبار العناصر الشخصية والاجتماعية التي تكون تجربته الحياتية، ويكسب المراهق أسلوب عمل ويستعمل قدراته للوصول إلى نتائج ملموسة. فاكتشاف المراهق لقدراته والإحساس بفاعليته يسمح له بالتفكير في مستقبله. هذه المرحلة تتميز بالتقرب بين الشباب والمربين والأصدقاء الذين لديهم نفس التوجهات والتأملات.

4- **مرحلة الشخصية:** يدرك المراهق في هذه المرحلة الأخيرة التحولات التي حدثت له، فقد أصبح أكثر تحكماً في نفسه وفي الوسط وقادر على ابتكار وسائل جديدة من خلال ما حققه من مكتسبات ويتم الاهتمام أكثر بالقيم والأخلاق ومشروعه المستقبلي. إن مشروع التكفل النفسو- اجتماعي هو في نفس الوقت مشروع بيداغوجي، تربوي يتضمن نشاطات تعليمية وترفيهية وأنشطة رياضية وفنية وورشات مهنية متعددة ومؤطرة من طرف مختصين. أهم ما يميز هذه التجربة العلاجية العالمية ارتكازها واعتمادها على التكوين المستمر للمربين ويتم انتقاءهم بعناية من الجامعات المتخصصة في علم النفس وعلم الاجتماع والتربية.

وحسب M. Born⁽⁷⁾ ميثاق 2000 Boscoville يستحق أن يؤخذ كمثال للقيم والقناعات التي بني عليها تتمثل في النقاط التالية :

- في مقارنة النمو الأمثل، كل دورة حياة الشاب(الطفولة - المراهقة) مهمة، وتحفيز النمو تحتم التحرك بسرعة في حياة الطفل.
- مشاركة المراهق والوالدين في النمو وفي الوسائل التي قدمت من أجل تحفيز ومساندة النمو الذي يمكن أن يمثل تحدي كبير ولكن هو دائماً ضرورة.
- مساندة نمو الشباب ليس مسؤولية الوالدين فقط بل كل المؤسسات الفعالة والمجتمع ككل.
- تحفيز النمو الأمثل للشباب يشترط مقارنة شاملة متجانسة ومتكاملة.
- لا يمكن لفاعل واحد أو مؤسسة لوحدها تحقيق عمل فعال.
- استراتيجيات العمل يجب أن تنطلق من تحليل جيد ودقيق ومشارك للمؤسسات، واقتراح أهداف مشتركة وتجميع القوى وإعطاء الفرصة لعمل متجانس .
- التدخلات الوقائية وإعادة التربية والاندماج الاجتماعي يجب أن تؤخذ بطريقة متكاملة ومستمرة.
- المقاربات النظرية والتجربة الميدانية الكندية قاعدة ثرية لبناء نموذج متكامل لتكفل النفسو- اجتماعي بالمراهقين الجانحين ومساعدتهم علي تجاوز هذه المرحلة الصعبة في حياتهم والاندماج اجتماعيا.

2- النموذج المقترح لتكفل النفسي- اجتماعي للمراهقين الجانحين داخل مراكز إعادة التربية والتأهيل:

إن التكفل النفسو- اجتماعي للمراهقين الجانحين داخل مراكز إعادة التربية غالبا ما يعتمد على تشخيص قائم على طبيعة الفعل الجانح، تكراره و درجة خطورته، وبرغم من أهمية هذه المميزات ولكن تظل محدودة. فمن الضروري الاعتماد على تشخيص نفسو- اجتماعي أكثر تفصيل ودقة. معرفة الخصائص الشخصية وأنماط العمل النفسي للمراهق الجانح وطبيعة علاقته مع الآخرين وأسلوبه في معالجة المشكلات ومستواه الدراسي،... قاعدة حتمية لبناء برنامج تربوي شامل ونموذج متكامل وفعال لتكفل ومرافقة المرهقين الجانحين في إعدادهم لمستقبلهم واندماجهم اجتماعيا.

النموذج الذي نقترحه يستند على الدراسة المعمقة لخصوصيات المراهق الجانح الذاتية، النفسية، المعرفية، العائلية والاجتماعية لضمان نجاح البرامج التربوية والاجتماعية ويضم هذا النموذج المميزات التالية:

- فهم طبيعة التعلق عند المراهق الجانح، فمندا J. Bowlby أو أعماله حول التعلق ومظاهره(1969) يفسر الجنوح من خلال الحرمان العاطفي المبكر والمتكرر.
- مساعدة المراهق الجانح على إعادة بناء تاريخه الشخصي، من خلال حثه على الحديث عن نفسه ومعاشه النفسي وطفولته. هذا العمل يسمح له بتكوين نظرة إيجابية وفهم جوانب ضعفه وقوته.
- بلورة الإحساس بالذنب وبالخزي (الهدف الذي يمكن أن تنسأه المؤسسات العقابية).
- تحسين قدرة المراهق الجانح على معالجة المشكلات التي يمكن أن يقع فيها خلال حياته اليومية وتعامله واتصاله بالآخرين.
- التحفيز على المجاهدة (La résilience) والبحث عن عوامل الحماية التي تساعد على عدم الوقوع مرة أخرى في الجنوح والإجرام، والخروج تماما من دائرة العوامل التي يمكن أن تدفع به إلى العودة إلى الانحراف. هذا المسار لخصه M. Born (2011) في مفهوم (La désistance) أو الانسحاب.
- برمجة مقابلات مع العائلة والعمل معها لإنجاح عملية التكفل النفسو- اجتماعي داخل المركز، فوضع الجانح في المركز لا يمكن اعتباره قطعية مع الوسط العائلي، بل يجب المحافظة على التواصل والعمل على تحسين العلاقات العائلية. فمعظم الدراسات

والأبحاث تعتبر العائلة من أهم الأسباب القاعدية وبدرجة أولى العلاقة مع الوالدين والأساليب التربوية المتبعة من طرف الوالدين. العائلة يجب أن تكون عضو فعال في عملية التكفل النفسو- اجتماعي داخل مركز إعادة التربية وعند خروج المراهقين الجانحين ومساعدته على تحقيق مشروعهم الشخصي والمهني والاجتماعي، بمرافقة المختص النفسي أو الاجتماعي لإنجاح عملية اندماجهم اجتماعي.

2- 1- التعلق ونمو السلوكيات الاجتماعية:

إن التعلق بالوالدين يحدد سلوكياتنا وطبيعة تصرفاتنا مع الآخرين، فتجارب الانفصال المتكررة مع الوالدين والأحداث الصدمية في العلاقة مع الأم أو الأب أو صور التعلق الآخرين يمكن أن يؤدي إلى نمو تعلق غير آمن، ومن ثم إحداث أثر بالغ في النمو النفسو- اجتماعي للفرد. ف نماذج التعلق التي تبني في الطفولة تظل مستمرة طيلة النمو وتظهر تأثيرها السلبية أو الإيجابية في مرحلة المراهقة. فمن خلال ملاحظات J. Bowlby أثناء فحص مراهقين جانحين، اكتشف أن معظمهم عاشوا انفصال مبكر مع أمهاتهم، مما أدى إلى حرمان عاطفي حقيقي، ومع ذلك الانفصال ليس الخطر الوحيد الذي يهدد التوازن الداخلي للطفل ولكن كل ما يتناقض و حاجيات الثقة والأمن، على سبيل المثال: إذا لم تأخذ صورة التعلق بعين الاعتبار الرفض أو الاستهزاء بالطفل⁽⁸⁾.

فالطفل الذي ليس لديه علاقة عاطفية إيجابية مع بديل صور التعلق الأولية (الأم والأب) ولا يتمتع بالاهتمامات العاطفية المناسبة يعاني من حرمان عاطفي وتظهر تأثيراته في المراهقة من خلال شعور المراهق بالقلق والإحباط، الحاجة المبالغ فيها للعاطفة، التناقض، تجنب الاتصال مع الآخرين، الإحساس بالقلق والاكتئاب.

إذا كانت المراحل الأولى مهمة في إرساء رابط التعلق، فالمراهقة مرحلة حساسة وحرجة في إرساء علاقات متزنة مع الوالدين، والتي تتغير نتيجة بحث المراهق عن روابط جديدة يستثمر فيها طاقته مثل: جماعة الرفاق. و يحدث المراهق تعديلات على الروابط العقلانية و يبحث على الاستقلال الذاتي ويمكن أن يصل إلى حد الصراع والتناقض الدائم مع الوالدين. نظام التعلق يلعب دورا مهم في مساعدة المراهق على تقادي المرور إلى الفعل الجانح، فالمرابي أو المختص النفسي والاجتماعي الذي يرافق الجانح داخل المركز يمكن أن يؤخذ مكانة أساسية من خلال حضوره في المواقف الحرجة والحساسة وفي النشاطات التي تدور حولها حياة المراهق الجانح داخل المركز. ويصبح أكثر انفتاحا وليونة، ويعترف بالنقائص في ايجابيات الآباء على حاجاته

للتعلق. فلامبالاة الآباء والأبناء الذي يميز الجانب العلائقي على المستوى العائلي ويتعداه إلى المستوى الاجتماعي يحفز علي ظهور واستمرار السلوكات الجانحة⁽⁹⁾.

المراهق الذي لم يتمتع أثناء طفولته برابط علائقي آمن و مقاربة والدية مناسبة، من الصعب عليه التعلق بأشخاص آخرين داخل المدرسة، الفريق الرياضي و المجتمع ككل. يصبح المراهق عامل خطر حقيقي على نفسه وعلى المجتمع. يجب على العاملين داخل المركز (مختصين نفسانيين واجتماعيين ومربيين وإداريين) الانتباه وملاحظة سلوكات المراهق الجانح التي تنبؤ بطبيعة تعلقه، ومحاولة نسج علاقة ثقة بينهم وبين المراهق الذي يحتاج إلى سند للخروج من المشكلات السلوكية وإعادة بناء حياته و صورته حول العالم الخارجي.

هناك العديد من الدراسات التي تؤكد على ضرورة معرفة نمط التعلق لدى المراهقين الجانحين المقيمين داخل المراكز للقدرة على معالجتهم ومساعدتهم نفسيا واجتماعيا وتربويا ومهنيا. نذكر من بينها: دراسة كل من C.Froidecœur و C.Pleyes حول 12 مراهق جانح في مراكز إعادة التربية، خلصت هذه الدراسة إلى أن نصف العينة علاقتهم مع أمهاتهم اعتبرت غير آمنة ورقابة الأم ضعيفة، أما النصف الآخر علاقتهم مع الأم اعتبرت آمنة ودورها إيجابي⁽¹⁰⁾. و دراسة أخرى لـ M. Born، 2011 حول علاقة 12 من المراهقين الجانحين مع الآباء واستنتج أن خمسة مراهقين جانحين اعتبروا أن الأب لا يحفز على التعلق المستقر وانعدام الاتصال بينها ورقابة أبوية ضعيفة. هذه المميزات تؤكد على وجود حرمان عاطفي كلي أو جزئي، أما السبعة الآخرين من عينة الدراسة يعتبرون العلاقة مع الأب آمنة ودور الأب إيجابي ولكن حسب معطيات المركز معاش هؤلاء المراهقين يتميز بالتخلي والرفض الأمومي والأبوي، فحسب M. Born الصراع النفسي الداخلي الذي يعاني منه هؤلاء المراهقين الجانحين أدى إلى تعديل صورة الوالدين وجعلها أكثر مثالية⁽¹¹⁾.

إن هذه الدراسات تؤكد على وجود رابط نوعي ودال بين التعلق غير الآمن ومشكلة جنوح المراهقين، فمن الضروري العمل إذا على تطبيق الأبعاد المختلفة لنظرية التعلق في الجانب العلاجي والتكفل بالمراهقين الجانحين، وهذه الأبعاد نلخصها في النقاط التالية:

1. مفهوم قاعدة الأمان: التجربة العلائقية الجديدة المعاشة تعبر من مفاتيح التغيير.
2. مرافقة المراهق في امتحانه لإدراكاته وتفاعلاته مع صور التعلق.
3. مساعدة المراهق الجانح على التغيير على أساس طبيعة النماذج العلاقية الخاصة به.

المراهق بحاجة إلى التفرد والاختلاف والانفصال ولكن لينفصل فهو بحاجة إلى تعلق جيد وآمن. فالمختص النفسي أو الاجتماعي أو المربي يمثلون قاعدة لبناء تعلق جيد وآمن يساعد

المراهق الجانح على التفرد والاختلاف. لا يمكن إغفال عامل بالغ الأهمية وهو العمل مع العائلة للتعرف على صور التعلق الأولية وتأثيرها على تفاعلاتهم خلال إجراء مقابلات جماعية، ومحاولة ملاحظة تصرفاتهم وإجابات المراهقين الجانحين على معطيات الوسط والأحداث الصدمية التي لها علاقة بالتعلق وهذا يسمح بتعديل أو تغيير للنماذج الداخلية.

على المختص النفسي الانتباه خلال مقابله مع المراهق الجانح لتقويم الحديث وأخذ فكرة حول نمط التعلق والأحداث التي يمكن أن تؤثر في طبيعة علاقاته (انفصال جسدي مبكر عن الوالدين أو عاطفي، طلاق الوالدين، موت أحد الوالدين...). على أساس التقويمات الأولية يمكن اختيار إستراتيجيات مناسبة لشخصية المراهق وتعديل بهدف بناء قاعدة ثقة دائمة مع المراهق الجانح، من ثم يستطيع بناء نماذج جديدة خارجية وتغيير سلوكياته .

إن سياق التكفل النفسو- اجتماعي مهما كان فرديا أو جماعيا يعتبر فرصة من أجل تطوير قدرات التفكير للمراهق الجانح حول حالته التعلقية والانفعالية والسلوكية والعلائقية. فمراجعة التمثيلات العقلية يستند أيضا إلى ردة فعل صور التعلق خاصة بالوالدين ، فطبيعة نماذج التمثيلات العقلية التي يكونها الفرد عن صور التعلق وشكل تنظيم سلوكيات تعلقه نتيجة تجارب التعلم والتدريب خلال الطفولة والمراهقة.

2- 2- إعادة بناء التاريخ الشخصي للمراهق الجانح:

بعد تحقيق التعلق الإيجابي بالمربين والمختص النفسي والاجتماعي وإعادة بناء المراهق لتمثلاته العقلية حول طبيعة ونمط علاقته بالآخرين، نستطيع العمل على جانب آخر مهم في مرافقة الجانح في بناء مستقبله والابتعاد عن السلوكيات المنحرفة والقدرة على مقاومة كل الأشخاص والأحداث التي يمكن أن تعيده إلى الجنوح، هذا الجانب هو إعادة بناء تاريخ حياة المراهق الجانح دون كذب أو إخفاء للحقائق. يجب تقبل فكرة الحديث وترجمة الأحاسيس بحروف وكلمات بمساعدة المختص النفسي. من خلال الاعتراف بالمراهق وبكليته وفرديته يستطيع المختص اكتساب الثقة، فالاعتراف يشارك في تكوين هويته وشخصيته. الرهان المركزي للتفاعلات الاجتماعية والاتصال الخارجي هو التعبير وبناء الذات تحت أنظار الآخر فالفرد يحبذ قبل كل شيء الإحساس بوجوده في أعين الآخرين وقبوله في الجماعة وأخذ مكانة اجتماعية ولكن بالمحافظة على فرديته وعلى هويته الخاصة به⁽¹²⁾.

يجب على المختص النفسي تشجيع المراهق الجانح على الحديث عن تاريخه دون مقاطعته، فعند التأسيس لعلاقة تحويلية ناجحة يمكن الوصول إلى مرحلة الشرح. من خلال هذه العلاقة يدخل المراهق الجانح في رمزية وتداعي حر من أجل إعادة بناء النرجسية بمرافقة

المختص أو المعالج الذي يفتح الأبواب ويؤمن الإطار، لإعادة التكوين ليست خارجية ولكن تسمح بتنظيمات مقبولة للماضي وتجنب استمرار عمله التدميري للحاضر⁽¹³⁾.

العلاقة بين المختص النفسي والمراهق الجانح مبنية حسب Chartier، (1991) على الترجمة، التحويل، التقمص وهي وسائل طويلة الأمد وتؤدي إلى تغيرات دائمة وعميقة للمراهق الجانح. أول من أكد على التحويل والتحويل المضاد في العلاقة العاطفية التي تربط الجانح بالمختص أو بالمربي هو Aichhorn في كتابه "Jeunesse a L'abandon" 1935 واقتراح بيداغوجية تكفل قائمة على قواعد التحليل النفسي. حيث أن معظم المراهقين الجانحين يعانون من حرمان عاطفي، فالمراهق الجانح خلال علاقته مع المختص أو المربي ينتج ويحول عليه صورة العلاقات السلبية التي عاشها مع والديه، و من ثم يجب العمل خلال المقابلات الفردية "تحفيز التحويل ووضع المراهق في وضعية تحويل"⁽¹⁴⁾.

ليس من السهل على مراهقين عانوا من صعوبات عديدة القيام بتحويل إيجابي، فالكثير منهم يتجنب العلاقة والحديث، وعليه يقع على المربي والمختص النفسي العبء الأكبر من أجل خلق علاقة ثقة ودفع الجانح للتفاعل والعمل النفسي الإيجابي، ومن ضروري على المختص النفسي والمربي توضيح طبيعة هذا الرابط ذو القوى المتناقضة، والظهور بقوة متيقظة وإيجابية دون أن تأخذ شكل تصرفات تبين أنهم ضعفاء أو غير قادرين بل عليهم إثبات سلطتهم. في كل الحالات العلاقة التحويلية لا يمكن أن تنجح إلا إذا كان لدى المراهق القدرة على إسقاط أنه المثالي والاجتماعي على المختص النفسي⁽¹⁵⁾.

إن العلاقة التفاعلية تسمح بتحقيق التقمص الضروري لإعادة بناء أنه الاجتماعي، والمربي والمختص النفسي يعتبران نماذج تقمصية واعية يعتمد عليها المراهق لبناء ذاته (الذات الشخصية والذات الاجتماعية) على أساس بنيات منظمة داخليا وخارجيا، مع التأكيد أن هؤلاء المراهقين الجانحين يتمتعون بقدر كبير من الذكاء والتربية عكس ما هو متعارف عليه. إن إحساس المراهق الجانح بكره الآخرين ووضعيته يجعل منه غير قادر على التفكير في ذاته ومعاني حياته وتاريخه ويدفعه إلى إعادة سلوكات فاشلة وتكوين هوية سلبية من خلال نظرتة السلبية لذاته ونظرة الآخرين له وميكانيزمات الوصم الاجتماعي التي يمكن أن تدفع به مرة أخرى إل المرور إلى الفعل الجانح. فعلى مؤسسات إعادة التربية توفير إطار متكامل، وتقديم استراتيجيات للتدريب وأساليب الضبط الاجتماعي، وتوفير مساحة للمراهق لإعادة بناء تاريخه وحياته أين يؤخذ الذات والآخرين معنى إيجابي.

إعادة بناء التاريخ الشخصي للمراهق الجانح بكل ما يحمله من معضلات وأحداث صدمية وفشل من أهم مراحل التكفل النفسو- اجتماعي التي تحدد بنسبة كبيرة نجاح عملية الاندماج الاجتماعي. هذه المرحلة يمكن أن يكون تحقيقها صعب بالنظر إلى كل الميكانيزمات النفسية التي تتحكم بوعي أو بدون وعي في عملية البناء، على المختص أن يضل منتبها ويقظا لفعل التحويل والتقمصات والاعتماد على تحليل مضمون الحديث لترجمة المقابلات واستخراج مواطن الضعف والقوى التي يستند إليها لمساعدة المراهق الجانح على بناء تاريخه الشخصي دون إنكار أو إخفاء للأحداث الصدمية التي عاشها وأثرت فيه وتصبح سببا لبناء نفسه من جديد.

ويقترح D.Derivois⁽¹⁶⁾ إعادة بناء تاريخ المراهق الجانح بالاعتماد على أربع أنواع من التاريخ وتمثل في النهاية أربعة أبواب للدخول في التاريخ العام بالمراهق الجانح.

1. تاريخ الجنوح: يحمل كل ما يخص الأفعال الجانحة والإيجابيات التربوية والجزائية، وادراك المراهق لسلوكاته اللااجتماعية.

2. التاريخ العائلي والاجتماعي: ما يمكن استخراجه حول بنية العائلة والأحداث الصدمية التي يمكن أن يعيشها المراهق داخل العائلة وربطها بتاريخ الجنوح.

3. التاريخ المؤسسي: معرفة المسار المؤسسي والسبب الذي أوصله إلى مؤسسة إعادة التربية وشروط دخوله وخروجه.

4. تاريخ العلاقة العيادية: الخاصة بالتحويل والتحويل المضاد، وهذه المرحلة مهمة لأن اللقاء العيادي هو مسرح لكل التواريخ المكثفة والمخبأة، وإلى جانب الاستماع الجيد من طرف المختص النفسي، أو المرابي، فعلى المراهق الجانح أن يستمع إلي نفسه ويدرك ما يحسه أثناء اللقاء العيادي، هذا التاريخ محدد لنجاح إعادة بناء تاريخ المراهق الجانح.

إذا طبقت هذه الخطوات بطريقة منظمة وواعية وبالاعتماد على إمكانيات المختص النفسي والمرابي يمكن للمراهق إعادة بناء ذاته وتفاعلاته مع الآخرين بثقة وبوعي تام بخصوصيات شخصيته و تاريخه. فكل عمل نفسي داخلي يسمح بتجذر التغيير والعمل به بعد خروجه من المركز.

2- 3 الإحساس بالذنب والخزي:

مفهوم الشعور بالذنب من المفاهيم المركبة في علم النفس ولا بد من إعطاء تعريف واضح لهذا المفهوم يخدم العمل التطبيقي مع المراهقين الجانحين. فالشعور بالذنب حالة انفعالية خاصة تتضمن مشاعر ألم نابغة من ضمير الفرد لارتكابه فعلا سيئا يأسف عليه، ويمكن تعريفه

على أنه شعور بألم داخلي، أو بمفهوم التحليل النفسي حوار داخلي بين الأنا والأنا الأعلى يحاسب فيه الفرد نفسه على ارتكابه أخطاء أو ذنوب متعلقة به أو بالمحيطين به.

الشعور بالذنب يمكن أن يكون مرتبط بمشاعر وهمية ليست لها علاقة بالضرورة بذنب معين واضح وواقعي أو يمكن أن يكون منعدم إلى حد عدم المبالاة وعدم تحمل المسؤولية الذي قد يؤدي إلى أفعال عدائية وغضب وعدم التعاطف مع الآخرين. الإحساس بالذنب نابع من التفسير الذاتي الذي يلحقه الفرد بأفعاله وسلوكاته. فالفعل والتفسير الذاتي هو الذي يثير الإحساس بالذنب وليست نظرة الفرد السلبية لذاته، فهو يلوم ذاته على اقتراف هذا الخطأ ويتغير إدراكه لذاته ويحس أنه عديم الفائدة، غير قادر على تحمل مسؤولياته. إن جميع الدراسات تتفق أن الإحساس بالذنب ينمو في مرحلة الطفولة الأولى، ويتأثر بطبيعة التعلق بينه وبين الوالدين والأساليب التربوية الوالدية التي تعمل على حث الطفل على تحمل مسؤولية أخطائه والتعاطف مع الآخرين. فمن المهم إثارة وتحفيز المراهق الجانح على الإحساس بالذنب والتعاطف مع الآخرين ويمكن تحقيق ذلك من خلال إتباع المراحل التالية:

(17)

- المراهق الجانح يعترف بمسؤوليته الجزائية
- معرفة ما إذا كان المراهق اعترف بأفعاله نهائيا أو جزئيا أو لم يعترف.
- معرفة إذا كان اعترف بمسؤوليته عن الأضرار التي لحقت بالضحايا.
- الاعتراف بالذنب، بمعنى أنه مذنب ويستحق العقاب.
- الإحساس بالذنب، بمعنى الإحساس بعدم الارتياح لقيامه بهذه الأفعال الخارجة عن القانون.

إن إثارة الإحساس بالذنب لدى المراهق الجانح لا يتحقق بصورة آنية أو في لقاء واحد أو اثنين، بل كل يوم وفي كل النشاطات البيداغوجية والمقابلات الفردية أو الجماعية أو العائلية . الضروري أن يستحضر المراهق الجانح دائما أفعاله التي أوصلته إلى مركز إعادة التربية. يجب الانتباه إلى صعوبة التموضع، لأن الإحساس بالذنب يجب أن يكون موجودا دون أن يهدم حياته وتواصله مع الآخرين، فتبسيطه يؤدي إلى إعادة فعله الجانح. تحقيق التوازن المطلوب تتحكم فيه شخصية المراهق الجانح وقابليته لتعديل سلوكاته، وأيضا خبرة وتكوين المربين والمختصين النفسانيين والاجتماعيين تلعب دورا هاما للوصول إلى درجة الإحساس بالذنب المناسبة.

أما الشعور بالخزي ينطلق من وعي الفرد لأهمية الآخر ومحرك لإحساسه بالقلق وعدم التكافؤ مع الآخر، أما الإحساس بالذنب هو الإحساس دائما بالمعاناة التي سببها للآخرين. ويضيف Cyrulnik⁽¹⁸⁾ أن "الإحساس بالخزي بدرجة منخفضة يدل على نضج بيولوجي ونمو السلوكيات العلائقية بطريقة جيدة، أما الإحساس بالخزي بدرجة عالية يبين حساسية زائدة قريبة من الخوف وميل إلى لا شخصية من أجل ترك المكان إلى الآخر، ولكن غياب الإحساس بالخزي يدل على التوقف في النمو وعدم القدرة على تمثيل عوالم الآخر إلى عالمه الخاص به".

إن الإحساس بالذنب والخزي أحاسيس متصلة ببعضها البعض ويجب تفعيلها من بداية التدخل النفسو-اجتماعي داخل مراكز إعادة التربية، وقد أكد Harris (2003) على أن الإحساس بالذنب والخزي مترابطين من الجانب النفسي وخاصة من الجانب المعرفي، وليس من الضروري التفريق بينهما لأن المهم هو الاندماج الاجتماعي وتعبير المراهق الجانح عن إحساسه بالذنب والخزي.

الحديث عن هذين الإحساسين الذين يؤسسان لتمثلات عقلية وعاطفية يسمح ببناء علاقات سليمة مع الآخرين، يقودنا إلى الحديث عن شعور آخر في غاية الأهمية وهو التعاطف مع الآخرين (l'empathie) الذي يمثل القدرة على الإحساس بما يحس الآخرون ويكتسبها الفرد خلال النمو، دون أن يخلط بين ما يحسه وما يحسه الآخرون. ففي بداية النمو يكون التعاطف مع الآخرين متمركز حول ذاته، أين الطفل يسقط أحاسيسه فقط على الآخر، ومن سن 4 سنوات وباكتساب الطفل اللغة تسمح له بتمركز حول الآخر وبمشاركة حياة الآخرين من خلال التمثلات العقلية. هذا العمل النفسي يستمر طيلة الطفولة وإلى غاية المراهقة، أين تتبلور التمثلات ويصبح الفرد أكثر انفتاحا على حياة وأحاسيس الآخرين.

النمو السليم للتعاطف مع الآخرين لا يتحقق إلا من خلال التشجيع المناسب من الوسط التربوي: العائلة والمدرسة التي تلعب أيضا دورا هاما، فهي إطار مناسب لاختبار أحاسيس التعاطف والتدريب والمشاركة العاطفية مع الآخرين. التعاطف مع الآخرين قدرة ضرورية في الحياة الاجتماعية واستمرار التعلق الذي يستقر منذ السنوات الأولى. فمن الواجب وضع إطار تربوي وعائلي واجتماعي لتشجيع نمو التعاطف مع الآخرين لدى الأطفال والمراهقين خلال جميع مراحل نموه. ينطبق ذلك على المراهقين الجانحين داخل مركز إعادة التربية فيجب العمل على استعادة قدرتهم على التعاطف مع الآخرين، وأحسن مثال على ذلك العمل التطبيقي الرائع الذي قام به O. Zenna⁽¹⁹⁾ وقدمه في كتابه: «Restaurer l'empathie chez les adolescents- délinquants» ، حيث انطلق من فرضية أن المراهق الجانح لا

يستطيع استدعاء هذه القدرة، بمعنى إدراك المكونات والمعاني العاطفية للآخر في لحظة المرور إلى الفعل، لأن عند مروره إلى الفعل قدرة التعاطف حدث لها شلل مؤقت، وترجم بصعوبة الدخول في نظام ترجمة ضحيته، وبالتالي يحاول الإنقاص من مسؤوليته.

لقد اقترح Zenna طريقة تطبيقية جديدة لاستعادة القدرة على التعاطف مع الآخرين لدى المراهقين الجانحين وهي النشاطات الرياضية التي تقدمها معظم المؤسسات الخاصة بجنوح الأحداث خلال التمارين الرياضية. وتتلخص هذه الطريقة بلفت انتباه المراهق إلى الألم الذي يحس به والألم الذي يحس به الآخرون، والوصول بفعل التمارين الرياضية المكثفة إلى استعادة القدرات المعرفية والعاطفية الخاصة بالتعاطف مع الآخرين. لقد استغل Zenna حب معظم المراهقين للرياضة لتحفيزهم على التواصل الاجتماعي من خلال لفت انتباههم إلى أحاسيسهم بالألم والتفاعل الإيجابي وتقديم المساعدة للآخرين.

هذا العمل التطبيقي يؤكد ويشجع على استعمال النشاطات البيداغوجية الموجودة داخل المؤسسات المتخصصة بالجنوح في نفس الهدف من طرف المربين والمختصين النفسانيين والاجتماعيين مع بعض الابتكار والتخيل بهدف تحقيق الفاعلية ونجاح إعادة الاندماج الاجتماعي للمراهق الجانح.

2- 4- تحسين قدرة المراهق الجانح على معالجة المشكلات:

يجب العمل على المسارات المعرفية للإدراكات وحل المشكلات التي يمكن أن تكون ولو جزئياً سببا في ظهور الأفعال الجانحة، فالعدوانية تظهر من خلال نمط إدراك المراهق للحدث وليس الحدث في حد ذاته. التدخل النفسو- اجتماعي يتمثل بداية في تحليل كيفية إدراك المراهق الجانح للوضعيات وعلاجه للمشكلات باستعمال النشاطات التربوية والفحص ولعب الأدوار. هذا العمل البيداغوجي والعلاجي يعتمد على نظريات علم النفس النمو، ويجب أن يتضمن البرنامج تدخل فعلي على سيرورات علاج المعلومة وحل المشكلات بهدف تكوين إستراتيجيات معرفية تساعد المراهق الجانح على زيادة السيطرة على الذات. العمل يكون مع 5- 6 مراهقين جانحين لتحقيق التفاعل المطلوب وقدرة المربي على السيطرة، وقد قدم M.

Born⁽²⁰⁾ خطوات هذا العمل المعرفي أثناء لعب الأدوار في المراحل التالية:

1. التوجيه العام، تحديد الهدف من لعب الأدوار والقاعدة الأساسية هي "التوقف والتفكير".
2. تعريف الوضعية -مشكلة.
3. اقتراحات الحلول للمشكلة دون نقد اقتراحات بعضهم البعض.

4. أخذ القرارات التي تتناسب مع المشكلة ويجب على المراهق تقويم حلوله من خلال أربع محطات: النتائج الشخصية، النتائج الاجتماعية، النتائج على المدى القصير والطويل.

5. التحقق: معرفة الآثار التي تحدثها الإجابات المقدمة وهل الحل المقترح مناسب ومتكيف مع ذاته والآخرين.

هذا التدخل يتم عامة في 5 جلسات:

الجلسة 1: تخصص للتعريف بالنموذج النظري، وذلك لتوضيح للمراهقين أن حياتنا اليومية مليئة بالوضعيات الصعبة والمشكلات التي يجب حلها وتوضيح الحاجة إلى تصنيف ومعالجة المعلومات وطلب معلومات إضافية.

الجلسة 2: Modéling النمذجة: توضيح كيفية استعمال عمليا النموذج التطبيقي والتذكير بالنموذج النظري ومراحله المختلفة لحل المشكلات، بعد ذلك تقديم وضعية- مشكلة والبحث عن الإجابات مع المربين والمختص النفسي.

الجلسة 3: mise en Qeuvre: يجب حث المراهقين على تقديم إجابات وأفكار عديدة والتخلي عن الأحكام المسبقة.

الجلسة 4- 5: يعاد نفس المخطط ولكن بسيناريو أو مشكلة أكثر تعقيدا وفي النهاية يطلب من المراهق: ما الذي استنتجه وكيف عاش البرنامج؟.

فاعلية العمل على تحسين القدرات المعرفية لحل المشكلات، يدعمها التدريب على السلوكيات الاجتماعية والعمل على مشاركة المراهقين الجانحين في أفعال اجتماعية تسمح لهم بالتفاعل وتقوية تقديرهم لذاتهم وتعاطفهم مع الآخرين.

2- 5- المجالدة والانسحاب:

المجالدة ليست فقط مفهوم بل هي نموذج نظري مركب ونواته الرئيسية تتمثل في أنه أمام حدث صدمي أو خطر معين، يستطيع الفرد النمو والتقدم بالأخذ بعين الاعتبار عوامل الحماية والعمل على إيجاد أسلوب ومعني جديد لحياته.

الهدف من هذا النموذج فهم النمو عند الأشخاص الذين عانوا من صدمات نفسية واستطاعوا التغلب على آثارها السلبية وبناء ذاتهم والنجاح في التكيف والتفاعل الاجتماعي. مفهوم المجالدة يسمح لنا بفهم أشكال التكيف عند الأفراد والمشاركة في تكوين وبناء طرق جديدة للتكفل النفسي بالمراهقين الجانحين، ومحاولة إيجاد العوامل الأساسية للمجالدة والعمل على تطوير هذه القدرة على التكيف أمام معظم المشكلات التي يمكن أن تواجه المراهق الجانح في حياته المستقبلية.

المجالدة هي القدرة على الخروج بنجاح من تجربة صدمية، أو هي فن التكيف مع الوضعيات المختلفة مع تطوير الفرد لقدراته الداخلية والخارجية (الوسط الاجتماعي والعاطفي)، ويؤكد Cyrulnik (2002) على ضرورة وجود حدث صدمي لتفعيل المجالدة: "تتشابك القوى البيولوجية للنمو مع القوى الاجتماعية والعاطفية بهدف مقاومة الحدث الصدمي ولذلك من الأفضل وصف مسار الشخصية المقاومة والبحث عن فهم إمكانيات المواجهة. المجالدة ليست مادة، بل هي شبكة من العوامل النفسو- اجتماعية والعاطفية التي تتفاعل وتتطور بفعل اللقاء مع الوسط العاطفي والاجتماعي⁽²¹⁾. نمو المجالدة مؤسس على ثلاث قواعد مهمة:

1. الإحساس بأن لديه قاعدة آمن داخلية: أحد أفراد العائلة أو المربي الذي يساعد المراهق، فمن الضروري نمو الإحساس بالأمن الداخلي.
 2. تقدير الذات: القدرة على تقييم نفسه ايجابيا، النشاطات اليومية يمكن أن تحفز المراهق الجانح على التفاعل واستعادة تقديره لذاته.
 3. الإحساس بفاعليته: يجب تشجيع المراهق الجانح على القيام بنشاطات تربوية وإكمالها ليحس بفاعليته واعتماده على نفسه. بالنسبة Cyrulnik⁽²¹⁾ عامل الجدلة الأكثر فعالية والذي نجده بانتظام في كل الدراسات هو نسج رابط عاطفي مستقر.
- الأبحاث التي قام بها كل (Born, Chevalier et Humblet, Born et Helin, 2000)، تؤكد أن المجالدة هي مسار نمو متعلقة بالخصائص الديناميكية للحياة العائلية في مرحلة الطفولة وما قبل المراهقة (التعلق العائلي، الأساليب التربوية، تبني القيم المجتمعية،...). أما الانسحاب فهو متعلق أكثر بتغيرات وسط حياة المراهق الجانح واختيار رفاق جدد يوجهون علاقاته الاجتماعية، أو تدخل المختص النفسي أو الاجتماعي أو شخص آخر يحفز الصورة الايجابية بذات المراهق الجانح وأفراد عائلته. المجالدة والانسحاب مسارين متعددي العوامل و ناتجين عن التفاعل بين عوامل الخطر والحماية التي تؤدي إلى المجالدة أو إلى الضعف.

عوامل الخطر يمكن تعريفها على أنها كل الخصوصيات ما قبل الجنوح في العائلة مثل: الصعوبات التعليمية، جماعه للرفاق التي تقترح تناول المخدرات وتعرض فرص للجنوح، أو خصوصيات شخصية: الاندفاعية، العدوانية، مستوى الذكاء...، أما عوامل الحماية فهي أيضا كل الخصوصيات الفردية والعائلية التي تقدم فرص لرفض كل المحاولات لدخول في الجنوح. يجب على المختص النفسي والاجتماعي وحتى المربي العمل على تحديد عوامل الخطر

والحماية ، بهدف مساعدة المراهق الجانح على إعداد مشروعه الشخصي والتربوي والمهني الذي يعتمد على تقدير المميزات الشخصية للمراهق الجانح وتسمح له بالتفوق على نفسه : (إمكانياته المعرفية لحل المشكلات، التعاطف مع الآخرين، استقلاله الذاتي، إدراك العلاقات الإيجابية مع الراشدين والمميزات العائلية، نوعية التواصل العائلي، الأساليب التربوية الوالدية والعاطفية...).

العوامل الأساسية للمجالدة وبوضوح نوعية العلاقة مع الوالدين، التعلق المتبادل والمراقبة الوالدية على سلوكيات الطفل، ولكن يجب على الآباء تبني قيم اجتماعية ايجابية وتوفير الإرادة لدى المراهق الجانح لتبني هذه القيم، وعليه يجب تكوين نظام قيمي مرجعي للمراهق وللعائلة. لا يجب التركيز على العائلة فقط كعامل خطر وحماية ، فالمدرسة التي تعتبر أول مؤسسة اجتماعية يلتحق بها الفرد، وبمشروعها البيداغوجي والأساتذة يستطيع الطفل والمراهق التفاعل مع الآخرين وتطوير أساليب لحل الصراعات والمشكلات ومن ثم يجب مصالحة المراهق الجانح الذي فشل في دراسته مع النشاطات التربوية وإعطائه الفرصة للتعلم والتكوين.

على المربين والمختصين النفسانيين والاجتماعيين العمل بطريقة متجانسة لتوظيف هذه الخاصية لصالح المراهق الجانح لكن قبل كل شيء يجب البحث عن العوامل التي منعت مسار المجالدة من التطور، ولخصها Cyrulnik في ثلاثة عوامل أساسية: الانعزال: إذا كان الفرد لوحده لا يمكنه النمو. اللامعنى: إذا لم يستطع الفرد سرد قصته وما، العار Honte: الفرد نفسه هو الذي يمنع مسار المجالدة، وتحدث هنا علي "La Honte toxique" (الخزي السام)، لأن الخزي ككل الأحاسيس لها وجهين: الوجه الايجابي الذي يعتبر حارس للأخلاق الداخلية والقيم المجتمعية والإحساس بالانتماء الاجتماعي، الوجه الايجابي من الإحساس بالخزي يسمح بالتعايش مع الآخرين، أما الوجه السلبي لهذا الإحساس "الخزي السام" يحدث خلل في تقدير الذات وتعزيز العزلة.

العلاقة الايجابية التي يحيكها المربين والمختصين النفسانيين والاجتماعيين (الوصايا على المجالدة) مع المراهق الجانح تسمح بداية بتنشيط مسار المجالدة من خلال إعادة بناء تاريخه الشخصي الذي يسمح له بإعطاء معنى لحياته من خلال الحديث والتعبير عن كل ما بداخله، وتحفيز المراهق الجانح على مشاركة الآخرين والتفاعل معهم خلال النشاطات اليومية ولعب الأدوار وخروجه تدريجيا من عزلته، وأخيرا التخلي عن الإحساس بالخزي الذي لا يسمح له بالتفهم والانسجام مع الآخرين.

إن المجادلة والانسحاب ظاهرتين مهمتين ثريتين لكل من يهتم من قريب وبعيد بالمراهقين ذوي السلوكات اللااجتماعية، فيمكن أن تحمل عناصر للتدخل ولكن مع فهم المسار الذي يساعد هؤلاء المراهقين على المجادلة والانسحاب مثالا: التدريب على تحسين إستراتيجيات حل المشكلات والتي تسمح له بتفادي المرور إلى الفعل الجانح.

2- 6- التكفل بالعائلة:

يقع على العائلة العبء الثقيل في مواجهة السلوكات الجانحة لأبنائها، فهي البيئة الأولى التي ينمو فيها الطفل ويتعلم القيم الاجتماعية والتفاعل مع الآخرين، فنمط علاقات المراهق مع المجتمع مبني على أساس نمط العلاقات الأسرية. إن التكفل النفسو- اجتماعي للمراهقين الجانحين لا يكون فعال إلا إذا كان العمل على المستوى الفردي للمراهق الجانح، يوازيه عمل مع العائلة وأفرادها (الوالدين والأخوة). هناك دراسات تبين تأثير الأخوة في ظهور السلوكات المنحرفة ومنها دراسة قامت بها J. Spitz، (2001) على 25 مراهق جانح، تتراوح أعمارهم 14- 16 سنة، واستخلصت أن عائلات عينة الدراسة يتميزون بالانسحاب من حياة أبناءهم الذين يعانون من حرمان عاطفي متكرر أدى إلى أن يأخذ الإخوة مكانة الوالدين ويلعبوا دور عاطفي مهم. فإذا كان هذا النموذج منحرفا يشجع الفعل الجانح ويحضر التدريب بالتقليد، في هذه الحالة الإخوة لديهم تأثير مباشر على المرور إلى فعل الجانح.

وبالنتيجة لا يمكن إغفال أهمية هذا العامل في التكفل النفسو- اجتماعي بالمراهق الجانح، والعمل مع العائلة يجب أن يأخذ بعين الاعتبار وضعيتين أساسيتين التعلق والمراقبة. وجود صراعات بين المراهق ووالديه أمر ضروري في عملية إعادة اندماجه اجتماعيا، ويعتمد على رغبة الوالدين في مساعدة المراهق على تجاوز هذه المرحلة الصعبة بنجاح من خلال الانتباه لطبيعة علاقتهم به وأساليبهم التربوية.

يمكن تقسيم العمل مع العائلة إلى ثلاث مراحل أساسية:

1. مقابلات مع المراهق الجانح بمفرده، ثم مع العائلة (الوالدين والإخوة إن أمكن) بهدف إدراك طبيعة التعلق وسلوكات الوالدين.
2. مقابلة الأم لوحدها في حالة غياب الأب، أو لعدم اهتمامه، فالتعلق بالأم مهم جدا لبناء علاقة ثنائية جديدة تساعد على تخطي الصعوبات وإعادة بناء ذاته.
3. يمكن اقتراح تدخل جماعي أو عمل جماعي مع أسر المراهقين الجانحين مؤطر من طرف المرابي أو المختص النفسي، ولكن ليست كل العائلات جاهزين لمثل هذا العمل الجماعي،

ويمكن الاعتماد على تقنيات أخرى، ويؤكد Born⁽²²⁾ أنه من المهم تحديد نوعية التدخل ومراعاة طبيعة الأسر.

إن التكفل النفسو- اجتماعي بالمراهقين الجانحين داخل المؤسسات المتخصصة ليس بالأمر الهين، فمنذ دخول المراهق الجانح وهو محل ملاحظة واهتمام مكثف لضمان استفادته من الإقامة داخل المركز وتفعيلها في حياته ما بعد المركز ومحاولة تحقيق مشروعه المهني والشخصي والابتعاد عن السلوكات اللااجتماعية. عمل المربين والمختصين النفسانيين والاجتماعيين لا يتوقف فقط على التكفل النفسو- اجتماعي بكل مراحل المعقدة والمتشابكة، فلا يمكن الاهتمام بجانب دون آخر ويتوجب العمل على تفكيك عناصر شخصية المراهق الجانح، ومن ثم تجميعها من أجل فهم أعمق لحالته وتطبيق أحسن وأنجح لمراحل التكفل النفسو- اجتماعي.

لمعرفة نجاعة أي برنامج للتكفل يجب إيجاد أساليب لتقويم تطور المراهق الجانح أثناء إقامته داخل المركز، من خلال مختلف الملاحظات والمقابلات والعمل الجماعي على جميع الجوانب: علاقته مع الآخرين، تقديره لذاته، نتائجه المدرسية، سلوكياته وردات فعله، علاقته مع العائلة وكل ما يجمعه المختص من معلومات وما استنتجه يجب تبادلها مع الآخرين ومناقشتها مع المراهق الجانح. ولمعرفة مدى تطوره وما هي الجوانب التي يجب العمل عليها أكثر، يجب تقويم عمل فريق التكفل النفسو- اجتماعي الذي توجهه في عمله ويلفت انتباهه إلى الصعوبات التي يمكن يعاني منها المراهق أثناء إقامته بالمركز، والقدرة على تعديل البرنامج في الوقت المناسب ويجب تبادل كل المعلومات الخاصة بكل حالة كل أسبوع وإعلام المراهق بنتيجة التقويم الأسبوعي وتوضيح الجوانب التي تقدم فيها من الناحية النفسية والسلوكية، والجوانب التي يجب العمل عليها وتحسينها: يمكن استعمال طريقة الجدول أين يسجل المراهق بنفسه نقاط لتقدمه أو تراجع طيلة الأسبوع وفي كل النشاطات البيداغوجية والسلوكية ومشروعه المهني.

التقويم اليومي والأسبوعي يسمح بتعديل أساليب التكفل النفسو- اجتماعي عند الضرورة والسماح للمراهق الجانح بمعرفة مدى تقدمه من أسبوع إلى آخر وإحساسه بالمسؤولية وتحفيزه على العمل أكثر. التكفل النفسو- اجتماعي بكل مراحل مرتبط أيضا بالإطار التنظيمي والإطار الإنساني للمؤسسة، فحسب M. Born⁽²³⁾ في العلاج المؤسساتي كل الأعضاء لهم عمل علاجي ليس فقط الطبيب، المختص النفسي أو المربي بل حتى الأشخاص

المسؤولون على النظافة، الحراس الليلين، العاملين في المطبخ، كلهم يشاركون في التكفل نفسو- اجتماعي مع المحافظة على وظيفة كل عضو من الفريق المؤسساتي.

الخاتمة:

إن هذا النموذج المقترح لتكفل النفسو- اجتماعي بالمراهقين الجانحين يفتح الباب لدراسات أعمق لتطويره وتفعيله، ولكن يعتبر قاعدة أساسية اعتمدنا في بناءه على نظريات قديمة متجددة من حيث استعمالاتها التطبيقية. فكل من نظرية التعلق وعلم النفس المرضي للنمو ومفهوم المجالدة والنظريات السلوكية والمعرفية ساهمت ليس فقط في فهم تعقد شخصية الفرد وعلاقته مع الآخرين؛ بل اعتمد عليها في بناء نماذج تكفل نفسو- اجتماعي ناجحة لفئة المراهقين الذين هم بحاجة لمساندة الراشدين لتخطيهم هذه المرحلة المتميزة بأزمة هويتها وصراعاتها وتغييراتها البيولوجية والنفسية والاجتماعية. النموذج المقترح يتمحور حول شخصية المراهق و دور العائلة وتفعيل دور المؤسسة من خلال التكوين المستمر لأعضائها و الإطلاع علي كل ما هو جديد من الناحية النظرية و التطبيقية، والعمل علي رسم مشروع تكفلي واضح و مرن و قابل للتجديد و التكيف مع المتغيرات الاجتماعية و الثقافية .

إن النتائج النهائي لعمل المؤسسات الخاصة بالتكفل النفسو- اجتماعي للأحداث الجانحين على اختلاف أساليبها وأطرها النظرية هو تغيير سلوك الحدث ومساعدته على بناء مستقبل أفضل والحفاظ على المجتمع، والعمل على إيجاد كل السبل الناجعة لإعادة تكييفهم واندماجهم اجتماعيا، ومما لا شك فيه أن التجارب العالمية يمكن ومن الواجب الاستفادة منها لتقويم الفعل الحاضر وتطوير مشروع التدخل داخل المؤسسة وضمان مرافقة فعالة للمراهق في ما بعد المؤسسة.

لضمان فاعلية هذا التدخل فالمؤسساتي يجب التكيف مع المستجدات العالمية وتطوير إطاره التنظيمي والمادي والإنساني من خلال تحليل الفعل الحاضر، وتحديد نقاط الضعف التي يجب العمل على تحسينها وتغييرها بالتكوين المستمر للمربين والمختصين النفسانيين والاجتماعيين من الجانب النظري والتطبيقي. يجب إتاحة الفرصة لهم لمعرفة تطورات أساليب التكفل النفسو- اجتماعي وبالنتيجة تطوير برنامج خاص بهم. مؤسسة إعادة التربية ترافق تغيير المراهقين الجانحين ولكن من المهم أيضا العمل على تغيير المؤسسة في حد ذاتها، فلا يجب النظر إليها على أنها مكان غير ديناميكي ويمتلك مشروع ثابت بل اعتبارها وسط متحرك يساند الفرد على تطوير إمكانياته ويعمل على التجانس والتوافق مع المتغيرات المجتمعية والعلمية.

التغيير حتمية لا بد منها للمراهق الجانح وللمؤسسة التي يستوجب عليها تطوير ذاتها من كل الجوانب (المادية، الإدارية، التكوينية والإنسانية).

الهوامش:

- (1) H. Le halle et D. Mellier, (2005), *Psychologie du développement : enfance et adolescence*, Dunod, Paris, p. 309.
- (2) M. Bor , Ch. Froidecoeur, F. Glowacz, (2014), *Compréhension du parcours de vie . en lien avec l'agir délinquant à l'adolescence*, sous la direction de B .Gaillard, *Psychologie criminologique*, éditions inpress, pp 269-283.
- (3) Y.Wiart, (2011), *L'attachement, un instinct oublié*, éditions Albin Michel, pp257 -258.
- (4) C.Cannard, (2010), *Le développement de l'adolescent*, De boeck, Bruxelles, p 227.
- (5) نفس المرجع، ص 228.
- (6) نفس المرجع، ص 228.
- (7) M. Born, (2011), *Pour qu'ils s'en sortent!*, De boeck, Bruxelles, p29.
- (8) Y.Wiart, (2011), *L'attachement, un instinct oublié*, Albin Michel, p 22.
- (9) F. Glowarz et C. Gavray, (2001), « dynamiques familiales : la clinique à l'épreuve de l'auto- révélation » in M .Born, P. Thys, *Délinquance juvénile et famille*, Paris, Harmattan, pp49-63.
- (10) M. Born, (2011), *Pour qu'ils s'en sortent !*, Bruxelles, De boeck , p87.
- (11) نفس المرجع ، ص 88.
- (12) P.Karli, (2011), *Le besoin de l'autre; une approche interdisciplinaire de la relation à l'autre*, Paris, Odile Jacob, pp 37-38.
- (13) M. Born, (2011), *Pour qu'ils s'en sortent !*, Bruxelles, p 62.
- (14) JP. Chartier, (1991), *Les adolescents difficiles*, Toulouse Privat, p 62.
- (15) نفس المرجع ، ص 166.
- (16) D.Derivois, (2010), *Les adolescents victimes/délinquants*, Bruxelles, p 110.
- (17) M. Born, (2011), *pour qu'ils s'en sortent !* Bruxelles, De boeck, p68.
- (18) B. Cyrulnik, (2010), *mourir de dire la honte*, Paris, Odile Jacob, pp 139 -140.
- (19) O. Zanna, (2010), *Restaurer l'empathie chez les mineurs délinquants*, Paris, Dunod.
- (20) M. Born, (2011), *Pour qu'ils s'en sortent !* Bruxelles, De boeck,pp 78-79.
- (21) B. Cyrulnik,(2002), *Un merveilleux malheur*, Paris,Odile Jacob, p39.
- (22) B. Cyrulnik, (2010), *Mourir de dire la honte*, Odile Jacob, Paris, p 113.
- (23) M. Born, (2011), *Pour qu'ils s'en sortent !* Bruxelles, de Boeck, p 92.
- (24) نفس المرجع ص 98.